الكفاية المعرفية بين النظرية والتطبيق في التعليم العام في الأردن

الأستاذ الدكتور سمير استيتية

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

الأحد ٣٠ صفر ١٤٣٩هـ- الموافق ١٩ تشرين الثاني ٢٠١٧م

الملخص

يهدف البحث إلى توضيح حقيقة الكفاية المعرفية من جانب المفهوم والمجال وكيفية الحصول عليها، وكيفية توظيفها في الحياة العملية، واستخدام المنهج الوصفي في توضيح أهمية الدراسة، حيث بينت الدراسة بأنه تم إدخال الكفاية المعرفية في ميدان التعلم العام متمثلة بالكفايات الآتية: كفاية التنامي، والضبط، والبنائية، والتحليلية، والإنجاز. وتم تحديد مفهوم كل كفاية، مع إظهار العلاقة بين المهارة والكفاية المعرفية وخاصة في اللغة العربية متمثلة بما يتوصل له المتعلم من إنجازات نظرية أو عملية في نهاية مرحلة التعليم الثانوية، وأن الإنجاز يرتبط بالمناهج المعتمدة في التعليم العام بقدرة استذكار المتعلم للمعلومات دون إبراز الاهتمام الظاهر بالبحث العلمي، وأوصت الدراسة بضرورة أخذ مؤلفي الكتب المدرسية للكفايات عامة في تصميم المناهج.

المقدمة:

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على حقيقة الكفاية المعرفية، مفهومًا ومجالاً، في التعليم العام خاصة، وكيفية الحصول على هذه الكفاية، وتوظيفها في الحياة العملية، توظيفًا يفيد منه المعلمون والمتعلمون.

إن للمعرفة وجهين أحدهما نظري، والآخر تطبيقي. وكذلك الحال في الكفاية المعرفية، فإنها تحمل الوجهين، وكل واحد منهما يعمل على تطوير الوجه الآخر وتحسينه. وفي الوقت الذي لا يتمكن فيه واضعو المناهج من أن يترجموا المعرفة النظرية إلى معرفة عملية ميدانية تطبيقية، لا تكون المعرفة قد أدت وظيفتها كاملة.

وقد قدّم البحث رؤية خاصة في بيان فروع الكفاية المعرفية، فجعلها في الفروع الآتية:

الكفاية الاسترجاعية: وهي قدرة المتعلم على استذكار المعلومات التي كان قد اكتسبها في وقت محدد، أو في أوقات سابقة.

كفاية التنامي: وهي الكفاية التي تعمل على تنمية شخصية المتعلم، وذلك بالإفادة من المعلومات والمعارف، وتوجيهها نحو التفاعل مع المواقف الحياتية المختلفة.

كفاية الضبط: وهي الكفاية التي تضبط المعلومات تنظيميًا، وتضبط موضوعاتها، وتضبط عملية التحول من النظرية إلى التطبيق.

كفاية التقنية العلمية: وهي إنشاء برامج حاسوبية لغوية، وتعليم اللغة في ضوئها.

الكفاية النسقية: وهي قدرة الفرد على أن يتكيف مع عملية التعلم بحيث يكون قادرًا على وضعها في أنساق مختلفة، بحسب موضوعها وترتيبها.

الكفاية البنائية: وهي قدرة الفرد على بناء كفاية معرفية ذهنية، ينبثق عنها أنساق واقعية في الحياة العملية.

الكفاية التحليلية: وهي قدرة الفرد على تحليل المعلومات التي يكتسبها، واكتشاف العلاقات بينها، خاصة عند تحويلها إلى واقع حياتي عملي.

الكفاية الإنجازية: وهي قدرة الفرد على تحقيق هدف أو أكثر من أهداف المعرفة، وذلك بتحويلها إلى واقع عملي.

الكفاية المعرفية بين النظرية والتطبيق

التعليم العام نموذجًا

المعرفة – المفهوم والمجال

يكاد الفلاسفة المتقدمون والمعاصرون يجتمعون على أن المعرفة (knowledge) هي "الاعتقاد المبرر بكون أمر ما حقيقة" (The Encyclopedia of Philosophy 345/4). وهذا التعريف أمثل أن يكون تعريفاً للمعرفة الاعتقادية، القائمة على قناعات ذاتية. صحيح أنه لا يمكن تجاهل التأثير الذي يحدثه الاعتقاد في المعرفة، ولكننا في حاجة إلى تعريف جامع مانع يشمل المعرفة بقضايا الحياة الفاصلة كلها.

لقد عملت القناعات المتباينة حول موضوع واحد، على تباين المعرفة، فقد كان الاعتقاد يجمعها ويفرقها، يجمعها على صعيد كونها معرفة، ويفرقها اختلاف الناظرين علمًا وفكرًا وانتماء، واختلاف الموضوع، واختلاف الزمان والمكان والثقافات. وبهذا لا بد من تعريف أدق للمعرفة، يبنى على مفهوم جامع لمسائل الحياة كلها، والاعتقاد واحد منها، فهي في نظرنا: **المعلومات التراكمية التي يفترض فيها الاستيثاق من صحتها، الممكن إثباتها، إثباتا نظريًا أو عمليًا.**

وبهذا يكون هذا التعريف أشمل وأدق لمعرفة **حقيقة المعرفة**، فهو يدل على اشتراط وجود معلومات مستوثق من صحتها، ويمكن إثباتها نظريًا أو عمليًا. وبغير ذلك لا تكون المعلومات المتشاذرة حول موضوع ما معرفة، ولا يكون التزاهي بالانتماء إلى فكر أو موضوع معرفة، ما لم يكن صاحبه يملك معلومات تراكمية يفترض فيه أنه وقف على صحتها، وتمكن من إثباتها إثباتًا نظريًا أو عمليًا أو كليهما.

إن أكثر موضوعات الحياة متصل بسائر موضوعاتها، فالمعارف التي نشهد آثارها في كل قطاع من قطاعات الحياة، وكذلك معارف كل علم، لا ينفصل بعضها عن بعض انفصالاً كليًا، ولا تنفصل هي عن معارف أخرى، وإلا كنا مطالبين بأن نفسر كيف يمكن أن تدرس الفيزياء مثلاً بمعزل عن الرياضيات، وكيف يمكن فصم عُرى الوحدة بين فروع اللغة التي يفترض فيها أنها كانت أصلاً من أجل تيسير تعلم اللغة، فمعارف كل فرع من فروع التخصص الواحد، تخدم بناء معارف الفروع الأخرى في التخصص الواحد، والمعارف في التخصص الواحد، تخدم المعارف في موضوعات معينة في تخصصات أخرى، بل قد تُبنى عليها. وهذه صورة من صور التراكمية. فليس التراكم قائمًا فقط على تجمع معلومات فرع واحد بعضها فوق بعض، ولكنها تتضمن كذلك تجمع المعلومات من فروع المعرفة كلها. وأسمي هذا النوع: **التراكم الأفقي**، في مقابل **التراكم العمودي** الذي يخص تجمع معلومات فرع معين، واعتماد اللاحق منها على السابق.

المعرفة والمهارات

أتى على المعرفة حين من الدهر كان كثير من المعارف فيها ذا طابع نظري، ومع ذلك فقد استطاع بعض المتفوقين أن يتجاوزوا الفضاء الواسع بين

النظرية والتطبيق. وهذا يدل على أنهم كانوا يمتلكون المهارات التي تمكنهم من ترجمة المعلومة إلى واقع عملي منظور.

تعرّف المهارة بأنها النشاط القائم على أداء متقن دقيق بطلاقة. والمقصود بالمتقن أنه صحيح لا يعتوره شيء من الخطأ، ولا يصل إليه شيء ينبغي أن يكون من خارج دائرته، ولا ينقصه شيء هو خارج دائرته. وأما كونه دقيقًا فمعنى ذلك أنه متبصر بأدق الأشياء وأخفاها، حاضر ذهنه في المسألة حضورًا ناقدًا. وأما كونه مؤدى بطلاقة، فيعني أنه يؤدى بسرعة ولا تخفى دقته وإتقانه، مع هاتيك السرعة. وعلى ذلك فالمهارة في حقيقتها صورة عظيمة للكفاية المعرفية، بل هي صورة أخرى من صور المعرفة العمودية (التراكمية)، لأن الأداء فيها يعتمد على المعرفة النظرية، وتعتمد المعرفة النظرية فيها على المهارات في إثبات وجودها بل تطوير الوجه النظري من المعرفة.

الكفاية المعرفية – المفهوم والمجال

الكفاية المعرفية هي قدر من المعلومات النظرية، والطرق التي يمكن بها بناء الآليات التي تترجم بها هذه المعلومات إلى إنتاج معين في موضوع ما، ولا يكفي الجانب النظري لهذه المعلومات لامتلاك القدرة على التعامل مع ذلك الموضوع أو بعض جوانبه. إن هذا التعامل تصور نظري أولاً، ثم حكم عقلي لما ينبغي أن يفعله، فالحكم على الشيء فرع تصوره، ثم إخراج ما يمكن إخراجه من هذه المعرفة النظرية إلى حيز التطبيق. والمعلومات النظرية إما أن تكون مكتسبة بالتلقي والتلقين، وإما أن تكون أصولها وفروعها هي المكتسبة بالتلقي، في حين أن فروعًا أخرى منها مكتسبة من الخبرة في الحياة، ومن التأمل والتبصر وسائر صور التفكير. ويساعد التفكر والتأمل على إنضاج المعرفة، وعلى إيجاد مجالات جديدة لها، وعلى نقل المعرفة من المجال النظري

إلى المجال التطبيقي العملي، والتفكير الناضج هو الـذي يعمـل علـى حـل المشكلات النظرية والعملية للمعرفة. والكفاية المعرفية –سواء أكانت نظرية أم عملية– لا يمكن أن تتأتى إلا بامتلاك القدرة على حل المشكلات.

لقد كانت المعرفة مطلب الإنسان منذ تاريخه المغرق في القدم، ليستطيع أن يجيب عن الأسئلة الكثيرة التي تدور حول كينونة موضوع ما، وكيفية إخضاعه للمواقف العملية في الحياة للاستفادة منه أو لتجنب ضرره. وصارت المعرفـة التي يتطلع إليها الإنسان لتحقيق أهدافه وغاياته ذات وجهين: **الوجـه النظـري والوجه العملي** للمعرفة. وما لم تتحول الأنظار في المعرفة إلى ما ينفع الإنسان في حياته، تظل ألصق بالوجه النظري في العلم. وهذه مشكلة كبيرة من مشاكل التعلم في المراحل المختلفة: الإلزامية والثانوية والجامعية في الـبلاد العربيـة كلها.

لقد ظلت الكفاية المعرفية موقوفة على الجانب النظري حيناً مـن الـدهر، ولذلك اهتمت المناهج المدرسية بالحفظ في الـبلاد العربيـة، أجـلَ اسـتظهار المعلومات، واسترجاعها وقت الامتحان، فإذا ذهب وقته ذهب معه كثيـر مـن المادة التي كان قد استظهرها، لذلك كانت الكفاية المعرفية **كفاية نظرية** في كثير من جوانب الحياة المعرفية. وعلى هذا الأساس كانت تبنى مناهج التعليم، وعليه كانت تصمم الامتحانات.

وقد تطورت مناهج التعليم في الغرب تطورًا كبيرًا، وكان من صوره مـا نلحظه في ما يسمى إستراتيجيات التعليم، وقد بلغ عددها نحو مئتي إستراتيجية، وهي في مجملها تفتح مجال المشاركة الفاعلة للطلاب. وقد توجـه كثيـر مـن الباحثين العرب في رسائل الماجستير والدكتوراه إلى تطبيق إستراتيجيات معينة –مما طُبّق في الغرب– على أرض الواقع. ولكن تلك الدراسات لم تتجاوز كونها رسائل قد أجيز أصحابها بحمل درجة الماجستير والـدكتوراه. ولا نكـاد نجـد

إستراتيجية واحدة متبعة لتقريب المعرفة للطلاب، لتمكينهم عمليًا من حل المشكلات في فرع من فروع المعرفة، وتمكينهم من إنتاج تصورات علمية يستطيعون بها التغلب على المشكلات التي يجدونها، وكيف يمارسون هذه القدرة كلما واجهتهم مشكلة في مجال عملهم.

أنواع الكفاية المعرفية

الكفاية المعرفية أنواع كثيرة، سنذكر منها ما يخص التعليم العام بصورة أساسية، وهي الكفاية الاسترجاعية، والتطبيقية، والتقنية، وكفاية التنامي، والضبط، والنسقية، والبنائية، والتحليلية، والإنجازية. وهذا حديث موجز عن كل واحدة من هذه الكفايات:

الكفاية الاسترجاعية

هي القدرة على استحضار معلومات معينة في وقت محدد. وهذا يعني أن هذه الكفاية قائمة على معيارين أساسيين هما: استحضار المعلومات المعرفية أولاً، وفي وقت قصير نسبيًا ثانيًا. ومعنى كونه قصيرًا أنه لا يقل عن السرعة التي يتم بها استحضار المعلومات في الحديث المتعارف على أدائه في الحياة اليومية، ولا يزيد على الوقت المخصص لها إذا كان صاحبها في امتحان، بحيث يتمكن من إجابة جميع الأسئلة في الوقت المحدد للامتحان. وكلما كان الوقت أقصر في استرجاع المعلومات في التواصل العادي، كان الطالب أقدر على تحقيق مهارة السرعة في الحديث. والاسترجاع في القراءة يكون باستحضار كيفية قراءة الكلمات والجمل، مع قراءة الكلمات معربة إعرابًا صحيحًا في وقت مناسب. والوقت المناسب في القراءة الصامتة يختلف عنه في القراءة الجهرية.

تكاد الامتحانات تكون –في التعليم العام والتعليم الجامعي– مركزة على استرجاع المعلومات أكثر من التركيز على حل المشكلات، وأكثر من الاهتمام

بخلق وعي تربوي ناضج. فليس الهدف من الامتحان أن نستكشف ما قد تحصل عليه الطالب من المعلومات، إنه أكثر من ذلك بكثير، فينبغي أن يكون الإعـــداد للامتحان والاستعداد له، عملية تربوية متكاملة بين المعلم والطالب، لإعادة تنظيم المعرفة، وتنمية قدرات الطالب على الملاحظة والتبصر، ومقابلة الأفكار بعضها ببعض، وتنمية عمليات الترجيح والحكم الدقيق عند الطالب.

الكفاية التطبيقية

هي الكفاية التي يستطيع المتعلمون بها أن يطبقوا ما درسوه فـــي الحيـــاة العملية. فقد أصبحت العلوم في الغرب تطبيقية عملية، والمطلـــوب أن يكـــون النظام التربوي عندنا قادرًا على إعداد الطلاب إعدادًا يستطيعون به أن يلجـــوا ميادين الحياة العملية. لدى النظر في الكتب المدرسية في التعليم العام، يتبين أنها تعمل على حشو عقول الطلاب بالمعلومات، والامتحانات تسير في هذا الاتجـــاه أيضًا، فهي تركز على الجانب النظري أكثر من تركيزها على خلـــق الـــوعي التطبيقي. ومن أجل أن تتحول المدرسة إلى بيئة لخلق الوعي التطبيقي لا بد أن تتحول المدرسة إلى ورشات عمل، يطبق فيها ما يمكن تطبيقه من المعلومـــات، وإذا لم يكن ذلك ممكناً فلا أقل من أن ينظروا إليها في ممارسات عملية متلفزة، أو عن طريق اتصالات واقعية يجري فيها التطبيق. بذلك وبذلك فقط يمكـــن أن تتحول المناهج إلى ممارسات عملية.

ومن أهم تطبيقات الكفاية التطبيقية العملية الطلاقة في الحديث، والســـرعة القرائية في زمن محسوب، والكتابة المنظمة في وقت معين.

الكفاية التقنية

أصبحت التقنيات المعاصرة جزءًا أساسيًا مـــن حياتنـــا، ولـــم تعـــد مـــن الكماليات، وأهم هذه التقنيات –وعلى رأسها الحاسوب– وأصبحت حوسبة التعليم

أمرًا لا مفر منه بعد أن دخل الحاسوب مجالات الحياة كافة، وأصبحت البرمجة علم العلوم، لأن في ذلك اتساعًا في المعرفة، وتعميقًا لها، واكتشافًا لخفاياها، وتيسيرًا على المعلم والمتعلم، وتنمية لمواهب الاستكشاف عند الطلاب بل الباحثين. ولا نقصد بالحوسبة أن يستخدم الحاسوب في الدروس فقط، بل أن يعدّ المتخصصون برامج تعليمية تجعل المعرفة أقرب إلى نفس الطالب وعقله، وتنمية لميوله، وتعزيزًا لمواهبه. ولا يكفي أن تكون الامتحانات المحوسبة من أسئلة الاختيار المتعدد (multiple choice)، بل لا بد من تصميم اختبارات حل المشكلات (problem solution)، وتحديثها باستمرار.

كفاية التنامي

هي القدرة على تكوين شخصية علمية، متنامية بتنامي المعرفة لديه. فنمو المعرفة ينبغي أن يعمل على تنمية شخصية المتعلم. وقد أثبتت الدراسات العلمية أن اللغة التي تستعمل في قاعة الدرس لها أثر كبير في تنمية شخصيته، فاللغة الحادة تنمي الحدة عند الطلاب، وحسن تعامل المعلم مع طلابه يجعل الطلاب على قدر كبير من اللياقة في التعامل، وكذلك طريقة الحديث من حيث التركيز والتوضيح والتتابع في الكلام، والتسلسل في سرد الأفكار، وبناء بعضها على بعض، كل ذلك يساعد الطلاب على استعادة هذه الأمور في المواقف الحياتية المختلفة.

ولتحقيق هذه الأمور في المناهج المدرسية، وفي العملية التعليمية في قاعة الدرس، ينبغي إعداد المعلمين قبل التعيين، وفي أثناء العمل، وإقامة دورات وورشات عمل. وينبغي كذلك أن يكون مع الذين يُعدون المناهج خبراء في علم النفس، حتى لا يكون اجتهاد واضعي المناهج بمعزل عن التطور الهائل في الدراسات النفسية التربوية (educational psychology).

كفاية الضبط

هي القدرة على ضبط المسائل العلمية المختلفة في ميدان التخصص، بحسب ما يقتضيه وضع المسألة وسياقُها، وعلاقتها مع المسائل الأخرى المرتبطة بها ارتباطًا مباشرًا، أو غير مباشر. ويظهر في الدقة التي تظهر في التطبيق، وفي العمق الذي يتناول المرء به مسائل التخصص عند معالجتها والنظر فيها. ويظهر الضبط كذلك عند تطبيق قاعدة معينة، كتطبيق القواعد النحوية على ضبط النصوص. ويظهر كذلك في ضبط الاستماع إلى المسائل العلمية، وضبط النقاش، وضبط العمليات العقلية العليا في معالجة تلك المسائل. ويظهر كذلك في المقارنات التي تكون بين ظاهرة وأخرى، والكشف عن ارتباطهما والتباين الذي يكون بينهما.

الكفاية النسقية

المعرفة مجموعة من الأنساق العلمية المنظمة. هذا تعريف إجرائي تداولي للمعرفة. ولما كان الأمر كذلك، فإن الكفاية المعرفية هي القدر الذي يتأتى للمتعلم من التكوين النسقي الذي يستطيع به أن يضبط إيقاع تكوينه المعرفي، حتى لا تكون هذه المعرفة مجرد معلومات متناثرة، ولا أفكار متضاربة. وحين يكون التكوين المعرفي عند المتعلم قائمًا على الكفاية النسقية، فإن ذلك يشق له طريق الاتساع في التصور، والقدرة على الابتكار والتجديد.

ولكل موضوع من موضوعات المعرفة نسقية خاصة، فللنحو مثلاً نسقية مختلفة عن نسقية الأدب، وهما مختلفان عن نسقية العروض والصرف مثلاً. والنسقية من جملة الأسباب التي تجعل متعلمًا يميل إلى معرفة دون غيرها، وإلى تخصص دون سواه. ووجود هذا الميل ضروري في تحديد مجال التخصص في الدراسة الجامعية.

الكفاية البنائية

هي القدرة على أن يبني المتعلم في مرحلة التعليم العام، تصورات لما يمكن أن يفيده كل درس في الحياة. ينبغي أن ترتكز الكفاية البنائية على التصورات الإيجابية التي يجدها في كل درس وفي كل علم يدرسه. فالتصورات الإيجابية هي أساس كل بناء صحيح، وهي من المرتكزات التي تقوم عليها الكفاية الإنجازية.

وينبغي أن تصمم لهذه الكفاية اختبارات خاصة، تكتشف المواقف الإيجابية التي يتعلمها الطالب من كل علم، وإلا فإن الامتحانات ستظل على وجهها النظري دون تعديل.

الكفاية التحليلية

هي قدرة الباحث أو المتعلم على إنشاء منظومة ذهنية يستطيع بها أن يصل بين الأشياء غير المترابطة في الظاهر، باعتماده على مقولات ومفاهيم موضوعية، ويستطيع بها أيضًا أن يرتب أمرًا على أمر لم يكن من المألوف تراتبهما. والتحليل العلمي من أهم ما توصل إليه البحث العلمي الحديث من نتائج مسلكية في بناء البحث العلمي، وعادة يلجأ الباحث إلى سد الفجوات الموجودة بين فئات مجموعة واحدة من المعرفة. وعن طريق الكفاية التحليلية تجد مسألة كان من العسير فهمها، فيظهر ما خفي منها وما كان عسيرًا على الآخرين فهمُه.

الكفاية الإنجازية (الإنتاجية)

هي القدرة على تحقيق هدف –أو أكثر– من أهداف التعلم نظريًا كان أو عمليًا، في وقت محدد. وهذا يعني أن لهذه الكفاية معيارين هما: القدرة على الوصول إلى نتائج أولاً، في وقت محدد ثانيًا. والإنجاز يكون مرحليًا أو كليًا،

فالإنجاز المرحلي يكون في ما تحقق من أهداف التعلم في موقف من المواقف، أو في درس من الدروس، أو في مجموعة من الدروس، أو في نهاية مدة معينة كالشهر أو السنة، أو وحدة دراسية محددة. وأما الإنجاز الكلي فيشمل ما يتوصل إليه المتعلم من إنجازات نظرية أو عملية في نهاية المرحلة الثانوية، أو في المرحلة الجامعية.

والإنجاز قد يكون في مجال دراسي واحد، كاللغة العربية مثلاً، أو في بعض أجزائها الدراسية مثل النحو، والأدب، أو في مجموعة من المجالات الدراسية، كاللغات، أو في مجال الدراسات العلمية كالفيزياء والكيمياء. ويتم تدريج الإنجاز في علامات، أو في ترتيب بالحروف مثل: الأول، الثاني .....

مفهوم الإنجاز مرتبط في المناهج الحالية في التعليم العام في البلاد العربية، بمقدار ما يستذكره الطالب من المعلومات، مدرجة بعلامات، دون أن يكون للجانب العملي أو للبحث العلمي اهتمام عملي ظاهر بها.

توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج أهمها :

أولاً: أدخل مجموعة من الكفايات المعرفية إلى ميدان البحث الخاص بالكفاية المعرفية، منها: كفاية التنامي، والضبط، والنسقية، والبنائية، والتحليلية، والإنجاز. وقد حدد مفهوم كل واحدة من هذه الكفايات، وعرفها، وحدد مجالها، وكيفية الإفادة منها في التعليم العام، وبيّن أهمية أن تكون كل واحدة من فروع الكفاية المعرفية خاضعة للتقويم المدروس.

ثانيًا: وضح البحث علاقة المهارة بالكفاية المعرفية، وبخاصة في اللغة العربية.

يوصي الباحث أن يأخذ واضعو المناهج ومؤلفو الكتب المدرسية بهذه الكفايات.

المراجع

١ . استيتية، سمير. اللسانيات– المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب، ٢٠٠٥.

٢ . _____. اللسانيات واللغة العربية، عالم الكتب، ٢٠١٥.

٣ . _____. علم اللغة التعلمي، مكتبة دار الأمل، ٢٠٠٠.

٤ . الحسيني، فاطمة. "تعلمية اللغة العربية– من الكفاية المعجمية إلى الكفاية التواصلية". اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم– الرباط، العدد ٧٧، ٢٠١٦.

5. Th Encyclopedia of Phylosophy . New York, Rinehart , 1980.